

هل أغذيتنا ملوثة؟ ما خطورتها؟



- آلية عمل تلك الملوثات:

بالرغم من أن الأغذية التي نتناولها مفيدة من حيث القيمة الغذائية، إلا أن تلك الأغذية يمكن أن تحتوي على مواد ضارة، بل خطرة على الصحة مثل المبيدات (Pesticides) أو الهرمونات، أو أنها معاملة بالأشعة، أو ربما يكون مصدر الأغذية من نباتات محوَّرة جينياً - أي استبدل جين من جيناتها لينمو بشكل أكبر أو يكون إنتاجها عالياً - وحتى الماء الذي نشربه يمكن أن يكون ملوثاً.

يستخدم ما يفوق على 400 نوع من المبيدات المختلفة في الأغذية الأمريكية، أي أن هناك هذا العدد من المبيدات التي تُرشُّ بها الثمار أو النباتات، وتدخل أجسامنا حينما نتناولها.

لقد تمَّ استخدام (2,1) مليون باوند سنوياً من المبيدات لمعاملة المحاصيل الحقلية والغابات، والمزارع المختلفة.

ولا يعلم الفرد بماذا عوملت هذه المحاصيل عندما يبتاعها من الأسواق المركزية.. فكل هذه المبيدات الكيماوية المستخدمة تؤثر في الجهاز المناعي وتضعفه وترهق الكبد، وتُسبِّم الأنزيمات في جسم

الإنسان، والمقصود بالتسمم هو أن المبيدات توقف عمل الأنزيمات، وأنها تُخرَّب المادَّتين الوراثيتين دي.إن.أي (DNA)، وكذلك آر.إن.أي (RNA) في النواة والميتوكوندريا - بيت الطاقة - في الخلية.

أعدت منظمة وقاية البيئة في أمريكا جدولاً يتضمن 55 مبيداً حشرياً والتي يمكن لبقاياها في الأغذية أن تُسبِّب السرطان.

هذا يعني أنَّهُ في الوجبة الواحدة يمكن للفرد أن يستهلك عشرات الأنواع من تلك المبيدات التي تكون سامة للأعصاب (Neurotoxic) أو تكون بمثابة مواد مسرطنة - أي تُسبِّب السرطان - يمكن أن تتجمع أكثر المواد المسرطنة والمواد الكيميائية المستخدمة في الرش في الأنسجة الحيوانية للحيوانات كالمواشي، والأسماك، والطيور بأنواعها والتي تتغذى على المحاصيل الحقلية والنباتات التي تمَّ رشها بالمبيدات، كذلك تتجمع المواد الكيميائية تلك في الإنسان أيضاً سواء عن طريق تناول لحوم هذه الحيوانات أم تناول الأغذية والنباتات المعاملة بتلك المبيدات الكيميائية، لقد تمت دراسة طال أمدها خمسة أعوام، وشملت الدراسة ثلاثة أصناف من المبيدات وفُسرَت تأثيراتها السلبية على الإنسان والحيوان والنبات، والأصناف الثلاثة هي:

كارباميت (Carbamates)، الفوسفات العضوي (Organophosphates)، والمبيدات المهلجنة (Halogenated Pesticides).

أمّا تأثيرات هذه الأصناف، فكانت كالآتي:

الكارباميت: المبيد الذي يستخدم لقتل النمل، والذبابة والصراصير يسمم الأنزيمات التي تسيطر على الخلايا في جسم الإنسان.

الفوسفات العضوي: يستخدم في الزراعة، حيث أنه يعيق الأنزيمات التي تسيطر على نشاط الجهاز العصبي.

المبيدات المهلجنة: وهي مبيدات تستعمل في الزراعة أيضاً، حيث تسمم عمل الأنزيمات التي تسيطر على الخلية.

يا ترى ما الذي تفعله المبيدات في الإنسان وخاصة إذا ما استمر في استعمالها أو تناول محاصيل أو

إذاً ألا تسرع هذه المبيدات من عملية الشيخوخة؟ وظهر حسب أبحاث الطبيب رسل جافي أنه حتى التعرّض لكميات الصغيرة من المبيدات الحشرية أمر خطر وحسّاس لبعض الأفراد.. فإذا كانت هذه المبيدات توقف عمل الأنزيمات في النباتات والحيوانات، والكلّ يعلم أنّ الأنزيمات ضرورية جداً لسير التفاعلات في جسم الإنسان، فكلّ مادة كيميائية تحطم الأنزيمات، وتوقف فعلها، تسرع من عملية الشيخوخة.

لقد لوحظ في أمريكا سنة 1989 أنّ بقايا المواد الكيميائية - آثار المبيدات - على الثمار والفواكه والتي قد تمّ تناولها من قبل الأطفال تكفي لإصابة 5500 إلى 6200 طفل بالسرطان كلّ سنة. يا ترى ما عدد الأفراد في بلادنا الإسلامية الذي يصابون بالسرطان، إذ من المعروف أنه لا يتم الإهتمام بهذه الأمور في بلادنا، وقد بينت الأبحاث العلمية أنّ خطورة الإصابة بالسرطان في الأطفال في هذه الحالات هي أكثر بستة أضعاف مقارنة بالرجال.

- المواد المضافة للأغذية وخطورتها

لا شكّ أننا عندما نقول أنّ المادة الفلانية تُسبّب السرطان في أي عضو كان يعني أنّ تلك المادة مدمرة لصحة المرء، ويأخذ ذلك المرض سنين عديدة من عمره.. فتلك المادة تُقرّ به من الموت، لذا فإنه لا يُعمّر كثيراً، أي أنّ هذه الأمراض تسرع من عملية الشيخوخة، يوجد في الواقع ثلاثة آلاف مادة صناعية تضاف للأغذية، منها أصباغ، ومواد نكهة، ومواد تحسين القوام، ومواد تحلية، ومواد ضد الأحياء المجهرية، وإضافة هذه المواد مسموحة من قبل إدارة الغذاء والعقاقير الطبية (FAD) في أمريكا. وقد تمّ فحص معظم هذه المواد على الحيوانات فقط، وليس للإنسان.

وتشير الأبحاث في هذا المجال على أنّ بعض المواد المضافة هي سرطانية لا شك فيها. وعلى سبيل المثال، الصبغة الزرقاء رقم واحد (1.No Dye Blue)، والصبغة الزرقاء رقم 2 (2.No Dye Blue)، والصبغة الخضراء رقم 3 (3.No Dye Green)، بينما الباقي من الصبغات لها تأثيرات سلبية وخطرة متفاوتة.

كَتَبْتُ الأصباغ الثلاثة السابقة باللغة الإنكليزية لأنها تكتب عادة على العلب بتلك اللغة، وحتى يكون الفرد على علم بذلك ولا يبتاعها. وهذا وقد لوحظ أنّ الصبغة الحمراء رقم 3 (3.No Dye Red) تتداخل

مع الناقلات العصبية في الدماغ. والأشخاص الحساسون للأسبرين يصابون بعلامات ربو خطيرة على حياتهم، إذا تناولوا أغذية حاوية على الصبغة الصفراء رقم 5 (5.No Dye Yellow) والصبغة هذه تتواجد عادة في الآيس كريم، ومنتجات الحبوب (الخبز أو الصمون) في الوجبة الصباحية وفي المشروبات الغازية، والشرابات، والمعجنات، والباستا، وهو ضرب من المعكرونة أو طبق منه.

هذا وهناك مواد تُسبب تلوث الغذاء والدواء وما شابه ذلك من المعلبات وغيرها. فإستخدام الألوان والأصباغ ومُكسّبات الرائحة في صناعة تلك المنتجات تعدّ كلّها أُمُوراً خطيرة، حيث تبين أن هذه المواد مسؤولة عن العديد من الأمراض السرطانية. فعلى سبيل المثال، ثبت علمياً أن صبغة النعناع الأخضر الاصطناعية شديدة الخطورة، وكذلك الأمر بالنسبة للأصباغ الصناعية للerman والصبغات المستعملة في صبغ بعض أنواع الحلوى السكرية، وصبغات رقائق البطاطس والألوان المشابهة للون البرتقال. هذا علماً بأن هذه المواد منع استعمالها في العديد من دول العالم، بعد أن أكدت الدراسات أنها السبب الرئيس في قائمة طويلة من الأمراض.

إذاً على حكومات دول العالم الإسلامي أن تمنع استيراد الأغذية الحاوية على المواد الآتفة الذكر، لينقذوا شعوبهم من الأمراض الفتاكة. وأنا على علم بأن بعض الدول الإسلامية تستخدم أصباغ التلوين للأقمشة في بعض الأغذية المصنعة!!.. يا ترى مَن يعلم بهذه الأمور؟ فأكثر مواطنينا في العالم الإسلامي يجهلونّها وحتى المثقف يُخفى عليه هذه الأمور.. فإذا أصيب شخص بعلامة ربو مميتة ناتجة من تناول أحد المنتجات الآتفة الذكر والحاوي على (الصبغة الصفراء رقم 5)، فباستطاعة مَن أن يكشف ذلك؟ حتى الطبيب لا يستطيع كشف ذلك.

وفي كثير من الأحيان يوصف لمثل هذه الحالات قائمة من الأدوية لدرء العلامات المرضية في المصاب، ولكن إلى متى يستعمل ذلك الشخص تلك الأدوية.. فإذا عرفنا السبب زالت المشكلة نهائياً. إذاً هذه المعلومات ضرورية لكل فرد من أفراد شعوبنا.. وأنا بالذات أرى أن هذا واجب على عاتقي وعلى مَن هم في إختصاصي أن يكتبوا عن هذه الأمور، لأن في ذلك خير لأُمَّتنا وشعوبنا ونأجر عليها في الآخرة.

تستخدم المادتين المُحلّيتين (من التحلية) سكارين (Saccharin) والسايكلاميت (Cyclamate) وهاتين المادتين الصناعيتين تُسببان سرطان المثانة، كما أن المادة الحافظة للدهون من التزنخ والمسمى بـ (Hydroxytoluene Butylated) والذي يختصر بـ (BHT) تُسبب سرطان الكبد، كما أن الأفلاتوكسينات الموجودة في الحليب، والحبوب، والفسق، والذرة، تُسبب سرطان الكبد، والمعدة والكلية.

لا يخفى على أحد أن المبيدات الحشرية هي من إحدى ملوثات البيئة.. فهي تستخدم في مكافحة الحشرات الزراعية في الحقول والمزارع، وكذلك حشرات المنازل الناقلة لأمراض الإنسان والحيوان. ولكن بالرغم من أن هذه المبيدات لها الفعاليات السابقة وميزاتها الاقتصادية، إلا أنها تضر بصحة الإنسان على المدى البعيد، إضافة لأضراره الكبيرة على البيئة.

أكدت دراسات عدّة أن هناك علاقة وطيدة بين المبيد د.دي.تي (DDT) - الذي كان يستخدم في السابق على نطاق واسع - وكذلك (PCB) وبين الإصابة بسرطان الثدي، حيث لوحظ في هذه الدراسة أن تركيب أنسجة الثدي المصاب بالسرطان تحتوي على آثار من (المبيد-ين) الآتفي الذكر مقارنة بعينات أنسجة الثدي الطبيعي والتي كانت خالية من تلك الموادّتين.

كذلك أكدت هذه الدراسة التي جرت في الأرض المحتلة أنه عندما تبين ذلك، منع استعمال تلك المادتين. وبعد عشرة سنوات، لوحظ أن عدد الإصابات بسرطان الثدي قد قلّ كثيراً. لقد أدّت الأضرار الكيميائية بالمنتجات الزراعية إلى ظهور علمٍ من العلوم الطبية يُسمّى بـ(علم السرطان البيئي)، ولا حاجة لتعداد الأمور الخطيرة هنا بصحّة الإنسان، ولكن من الواجب أن نتطرّق ولو بشكل مختصر للتسمم الغذائي للمواد الزراعية والمنتجات الزراعية بالمواد الكيميائية التي تستخدم في بلادنا بشكل رهيب جداً، حتى أنه يستعمل في بعض بلداننا أنواع من المبيدات الحشرية الكيميائية المحرّمة دولياً في زراعة المنتجات التي نتناولها. هذا بالإضافة لاستخدام مواد كيميائية أخرى تستعمل للإنضاج السريع، أو تستخدم أصباغ لإصفاء الألوان الجذابة على المنتجات الزراعية، وكذلك لإعطائها لمعاناً معيناً.

ولا يخفى على أحد أن استخدام تلك المواد الكيميائية لها أضرار على البيئة وصحّة الإنسان على المدى الطويل، حيث أن هذه الكيميائيات غير قابلة للتلاشي بيولوجياً، وإنها تبقى في جسم الإنسان، وقد تصيب المرء أعراض وأمراض مؤجلة لأن نتائجها الضارة قد لا تظهر على الإنسان بين عشية وضحاها إلا بعد زمن طويل، ومن الأمراض المؤجلة التي قد تصيب المرء هي السرطان الذي يظهر فجأة وفي أعمار متأخرة عند بعض الناس.. يا سبحان الله! وكأنها قنابل موقوتة وموضوعة في جسم الإنسان.

إذاً أيها الشاب الكريم، بُعداً عن النباتات والثمار المعاملة كيميائياً لكي تؤخر من عملية

إنّ فلاحي دولنا الشرقية تستعمل هذه المبيدات عشوائياً ولا يعلمون بأضرارها وخطورتها، حيث إنهم لا يراعون المقاييس الصحيّة في رش كمّيات المبيدات، كما لا يراعون فترة الأمان التي يجب إتباعها، ثمّ جني المحصول بعيد إنتهاء فترة الأمان، إذ أنّ عدم إتباع الفترة الزمنية، ثمّ جني المحصول، يؤدي إلى إنتقال المادة الكيميائية وبفعاليتها السامة مباشرة إلى جسم الإنسان، عندما يتناول الفرد تلك المنتجات.

هذا وعلى الحكومات ودوائر الرقابة أن تراقب وتحدد نوع المبيدات المسموحة استخدامها، وقد ضعفت هذه المراقبة في دُولِنَا.

ويذكر السيد عبدالحكيم محمود في مقالة عن أخبار التلوث: "هذا وقد استعمل مبيد الـ د.د.ت (DDT) في الولايات المتحدة الأمريكية للقضاء على البعوض في مستنقعات Island-Long، حيث رشّت هذه المستنقعات لعدة سنوات متتالية بتلك المادة، وكان يعتقد أنّ تركيز المبيد المستخدم كان قليلاً، إلا أنه تبين فيما بعد أنّ تلك المادة تبقى فترة زمنية طويلة محتفظة بسُميتها، وقد تمّ امتصاص هذه المادة من قبل النباتات الموجودة في تلك المستنقعات، ثمّ انتقلت إلى الأسماك التي تعيش على حساب النباتات، وبعدها انتقلت إلى أنسجة الحيوانات المفترسة، التي تأتي في قمة السلسلة الغذائية، كالطيور آكلة الأسماك، وعلى هذا الأساس كان تركيز هذه المواد يزداد في أجسام الحيوانات المفترسة فيما يعرف بظاهرة التكبير الحيوي البيولوجي، ونتج عن ذلك موت جماعات منها".

إنّ استعمال المبيد الحشري د.د.ت (DDT) والـ (Vincloxadine) للرش، يؤدي إلى تداخل هذه المبيدات مع الهرمون الذكري المسمى تيستوستيرون (Testosterone) مؤدية إلى إنقاصه - أي إنقاص الهرمون الذكري - . وهذا ما قد يفسر وجود ارتفاع في تفشي العيوب التناسلية، والخصيات المعلقة لدى الأطفال الذكور، وزيادة العقم، بالإضافة إلى سرطان البورستات والخصية.

هذا ويذكر الكاتب البريطاني باتريك هولفورد عن المبيد حشري د.د.ت، قائلاً: "المبيد (DDT) يتحول إلى مادة (DDE) التي لها نشاط إستروجيني ضعيف وتعاكس هرمون الذكورة بقوة خمسة عشر مرّة". إنّ بقايا هذه الكيميائية المدمرة لازالت موجودة في طعامنا، وخاصة في دولنا الشرقية.

أساس معاملة الأغذية بالإشعاع هو القضاء على كلِّ أنواع الأحياء المجهرية بواسطة ذلك الإشعاع، عندما تكون تلك الأحياء موجودة في الغذاء، فيمكن للإشعاع أن يخترقها عندما لا يكون عدد تلك الأحياء المجهرية كبيراً جداً. وعدا بعض الاستثناءات، فإنَّ مقاومة الأحياء المجهرية للأشعة لا تختلف عن مقاومتها للحرارة المستخدمة في حفظ الغذاء. إذاً فالإشعاع من ناحية يفيد للتعقيم، أي يفيد للقضاء على الأحياء المجهرية التي تفسد الغذاء، ولكن للإشعاع أمور تخفى على المستهلك كبضع التأثيرات السلبية على الأغذية، نذكر منها ما يلي:

- الأضرار التي تلحق بالأغذية المعاملة بالإشعاع:

يُحطم الإشعاع الذي تعامل بها الأغذية عناصر غذائية مهمة، ويشمل ذلك كلاً من الفيتامينات A, E, K وفيتامينات مجموعة B مثل: B1, B2, B3, B5, B6، وكذلك الأحماض الأمينية الأساسية لجسم الإنسان - أي الأحماض الأمينية التي لا يمكن الجسم أن يصنعها - والأحماض الدهنية الأساسية، والأنزيمات.

كما أنَّ الإشعاع يقلل 50 بالمئة من الفيتامين C في البطاطا. إنَّ معاملة الغذاء بالإشعاع تقضي على بعض أنواع البكتيريا المضرة وليس كلها، والغريب أنَّ الأفلاتوكسينات - وهي المواد المسرطنة التي تسبب السرطان وتنتجها الأعفان - تنتج بكميات أكبر في الأغذية المعاملة بالإشعاع، وهذا يعني أنَّ الأغذية المعفنة والمعاملة بالإشعاع تزيد فيها نسبة الأفلاتوكسين، وهذا أمر سيِّئٌ للغاية.

لا يبقى في الغذاء المعامل بالإشعاع عنصراً دون أن تتغير من الناحية الكيميائية. هذا ولا يمكن القضاء بالإشعاع على الكائن المجهرى - البكتيريا - المسمى بـ كلوستريديوم بوتيلينوم (C). الفعالة السموم أكثر من التوكسينات هذه وتعتبر، توكسينات ويفرز سبورات نـ "كوب" الذي (Botulinum) المعروفة، وتلك السموم تقاوم حتى الأنزيمات إلى حد بعيد في الجهاز الهضمي. كما أنَّ سبوراتها تقاوم درجات الحرارة العالية والتسمم بهذا البكتيريا (كتسمم باللحوم) يؤدي إلى أعراض كثيرة في المصاب، منها: صعوبة البلع، والكلام، وآلام في المعدة، والتقيؤ، وعجز في التنفس وصعوبة في الرؤية.

الكاتب: د. دلاور محمد صابر

المصدر: كتاب شباب دائم/ بالغذاء والأعشاب والعلاج الطبيعي